تدوين علماء الحديث أقوال الصحابة والتابعين

د. محمد بن جميل المطري

لم يكن علماء الحديث يكتفون بتدوين ورواية أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام فقط، بل كتبوا أيضًا أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، ورووها في كتبهم بالأسانيد.

روى مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٣) عن عبد الله بن أبي مُليكة قال: كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتب لي كتابًا، فقال: (ولدٌ ناصحٌ أنا أختار له الأمور اختيارًا)، فدعا بقضاء علي، فجعل يكتب منه أشياء.

وسأل مجاهدُ بن جَبْر عبدَ الله بن عباس رضي الله عنهما عن تفسير القرآن آية آية، وكتب عنه تفسيره، روى ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٢٨٧) عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد قال: (عرضت القرآن على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته ثلاث عرضات أقِفه عند كل آية)، وروى ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٨٥) عن ابن أبي مُلَيكة قال: (رأيت مجاهدًا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله)، ثم كان طلاب العلم يكتبون التفسير عن مجاهد، روى الدارمي في سننه (٥١٩) عن عُبَيد المُكتِب قال: (رأيتهم يكتبون التفسير عند مجاهد).

وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥/ ٢٢٤) عن موسى بن عقبة قال: وضع عندنا كُرَيب مولى ابن عباس حِمْل بعيرٍ من كتب ابن عباس.

وروى الرامَهُرْمُزي في المُحدِّث الفاصل (ص: ٣٧٤) عن طاوس قال: (كنت أنا وسعيد بن جبير عند ابن عباس يحدثنا ويكتب سعيد بن جبير).

وروى أحمد بن حنبل في كتاب العلل ومعرفة الرجال رواية ابنه عبد الله (٢٨٩) وأبو زرعة الدمشقي في تاريخه (ص: ٦١٩) عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جُبير قال: (كنت أكتب عند ابن عباس في ألواحي حتى أملأها، ثم أكتب في نعلي).

وروى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦/ ٣٣٢) عن أحمد بن صالح قال: عطاء بن دينار من ثقات أهل مصر، وتفسيره عن سعيد بن جبير صحيفة. ونقل عن أبيه أبي حاتم الرازي أن الخليفة عبد الملك بن مروان كتب إلى سعيد بن جبير يسأله أن يكتب إليه بتفسير القرآن فكتب سعيد بن جبير إليه بالتفسير، فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير، وقال الخليلي في الإرشاد (١/ ٣٩٣): "تفسير عطاء بن دينار يُكتب ويُحتج به".

وعن يحيى بن أبي كثير قال: كتب إليَّ أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود: أما بعد، فإني أخبرك عن هدي عبد الله بن مسعود في الصلاة وفعله وقوله فيها. وذكر حديثًا طويلًا فيه تشهد ابن مسعود وبعض أقواله وهديه في صلاته وعبادته. رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩٩٤٢)، وكان مع عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاب عن أبيه عبد الله بن مسعود فيه بعض الأحاديث رواه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٦٨٨).

وكان ابن شهاب الزهري يكتب أقوال الصحابة وقال: هي سنة، رواه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (٢٠٤٨٧)، وحين مات الزهري حُمِلت دفاتره التي كتب فيها الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة على البغال. رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير (٢/ ٢٥٢) وابن عدي في أول كتابه الكامل (١/ ١٣٩).

ثم جاء عصر أتباع التابعين فاجتهد علماء الحديث في كتابة جميع الأحاديث النبوية وآثار الصحابة والتابعين مما سمعوه من شيوخهم التابعين عن الصحابة، وما سمعوه أو نقلوه عن التابعين وأتباع التابعين، مثل ابن جُرَيج المكي (ت ١٥٠ هـ) الذي أكثر جدًا من سؤال شيخه التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح ودوَّن تلك الأسئلة وأجوبتها في كتبه التي رواها طلابه عنه كحجاج بن محمد المِصِّيصِيّ ومحمد بن ثور الصنعاني، وكان طلاب ابن جُرَيج ينسخون كتبه ثم يقرءونها عليه أو يسمعونها منه بلفظه، قال أحمد بن حنبل : (سمع حجاج بن محمد التفسير من ابن جُرَيج، وباقي الكتب قرأها عليه عرضًا) يُنظر: العلل

ومعرفة الرجال لأحمد رواية ابنه عبد الله (٢/ ٦٩)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٩/ ١٤٢).

وقال الخليلي في الإرشاد في معرفة علماء الحديث (١/ ٣٩٢): "روى محمد بن ثور عن ابن جُرَيج نحو ثلاثة أجزاء كبار، وذلك صححوه، وروى الحجاج بن محمد عن ابن جُرَيج نحو جزء، وذلك صحيح متفق عليه".

وأكثر الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) في موطئه من نقل أقوال التابعين من فقهاء المدينة.

وروى القاضي أبو يوسف (ت ١٨٢ هـ) في كتابه الآثار كثيرًا من أقوال الفقهاء من الصحابة والتابعين.

ودوَّن الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩ هـ) في كتبه أقوال فقهاء أهل الكوفة كإبراهيم النَّخعي وحماد بن أبي سليمان ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبي حنيفة وأبي يوسف وزُفَر بن الهُذيل وسفيان الثوري، ومن أشهر كتب الشيباني: الأصل المعروف بالمبسوط وكتاب الآثار وكتاب الجامع الكبير والجامع الصغير.

ونقل الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) في كتابه الأم أقوال كثير من فقهاء الصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

وروى الإمامان عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ) وابن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) في مصنفيهما كثيرًا جدًا من أقوال وأخبار الصحابة والتابعين وأتباعهم بالأسانيد، وعدد الروايات في مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٢٠٤٦٩) رواية كما في الطبعة الثانية لدار التأصيل من غير أحاديث كتاب جامع معمر بن راشد من رواية عبد الرزاق الملحق في آخر المصنف، وعدد الروايات في مصنف ابن أبي شيبة (٤٠٧٥٤) رواية كما في الطبعة التي حققها سعد الشِّثري.